فى الكراج تغامز العمال وتلازموا، ودق بعضهم أكفّ الآخرين، وفى الوقت الذى كانت فيه أدق التفاصيل تروى سرا وعلانية، وبعضها حدد لون الملابس الداخلية لامرأة البروفيسور، ومشاعرها المتناقضة قبل الانفراد وبعده، كان ـ سعادته ـ مطرقًا، مهمومًا، يتساءل عن سر الزيارة فى غيابه والإلحاح بتلك الأسئلة الغريبة على امرأته وأبنائه؟

غير أن التحرك الأهم ضده كان يتم فى الوقت نفسه ولم ينتبه إليه إلاّ متأخرا، قرب نهاية اليوم، عندما اتصل به مجهول بعد الغداء مباشرة.

ذلك أن الجواهرى فارق ركنه الذى اعتاد أن يأوى إليه صباح كل يوم قبل دخوله المقر، مكانه المألوف الذى لم يتخلف عنه منذ افتتاح هذا المقهى فى مواجهة المبنى الرئيسى للمؤسسة، مدة مكثه اليومية نصف ساعة، ربما تزيد دقائق أو تقل، لكن إذا طالت عن المقدر أو اقتصرت على دقائق معدودات فإن ذلك نذير بوجود ما ينغصه ويقلقه أو يشغل فكره. صلته بالمقهى قديمة، إنه الوحيد الذى لم تفلح رشيدة النمساوية فى اقتحامه أو الوصول إليه، خلال رحلتها التى بدأت عمليًا من هذا المكان، وانتهت إلى فيينا فى أوروبا، إنها ممثلة المؤسسة فى أوروبا والمتحدثة باسمها، كادت تدفع بالجواهرى يوما إلى الجنون، ولكن هذا حديث سابق لأوانه، ولم تحن مناسبته بعد..

المهم.. قام الجوهرى متئدًا، متمهلاً فى تمام العاشرة أى بعد ما يقرب من ساعة ونصف أمضاها منفردًا تمامًا، شرب خلالها أربعة فناجين قهوة سادة، وستة عشر حجرًا من المعسل الذى يحمل علبتين منه باستمرار.

إنها بالنسبة له لحظة من اللحظات التى يجب أن يقدم فيها غير هيّاب أو وجل، إن لم يشرع فكأنه لم يشارك يوما فى بناء هذا الصرح،